﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [آل عمران: 23]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

بعد أن توعَّد سبحانه في الآية السَّابقة الّذين أوتوا الكتاب منَ اليهود على شناعة أفعالهم، وما اقترفته أيديهم، التفتَ إلى النّبيّ ﷺ؛ لبيان عجيب صنع ما يفعله معه فريقٌ منهم، وهم اليهود، وهو شاهد على أفعالهم، بعد أن حكى سبحانه أفعال أسلافهم، مِن قتلهمُ الأنبياء، وقتلهمُ الّذين يأمرون بالقسط منَ النّاس؛ فها هم إذا دُعوا إلى كتاب الله، ليحكم بينهم، يتولّون وهم معرضون، فما أعجب حالهم!

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أُوتُواْ﴾: أتى منَ الإتيان، وهو مجيءٌ بسهولة، بسبب تهيئة أو إزالة مانع، و(آتى) من الإيتاء؛ وهو الإعطاء، وخُصَّ دفع الصَّدقة في القرآن بالإيتاء، قال تعالى: ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الأعراف: 156]، وقال سبحانه: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا﴾ [النساء: 54]، وقال: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾﴾ [النساء: 163]، ومعنى ﴿أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: أُعطَوهُ من غير جُهد منهم ولا عَناء.

2) ﴿نَصِيبًا﴾: النَّصبُ: إقامة شيءٍ في ارتفاعٍ واستِواءٍ، والنّصيب: القِسْم والحظُّ من كلِّ شيء؛ لأنّه يُعزَل، ويقام لصاحبه، ويرفع، والمعنى: أوتوا حظًّا وقِسْمًا منَ الكتاب[1].

3) ﴿لِيَحْكُمَ﴾: الحُكم: المَنع، أو: ضبطٌ يمنع التّسيّب والفساد، وَسُمِّيَتْ حَكَمَةُ الدَّابَّةِ لِأَنَّهَا تَمْنَعُهَا، والحاكم: مَن يمنع مِنَ الظّلم، ويُطلق الحُكمُ والحِكمة على العلم والفقه والقضاء بالعدل[2].

4) ﴿يَتَوَلَّىٰ﴾: الوَلْيُ والتَّولِّي: قُربُ شيءٍ مِن شَيءٍ ولُزُومُه تبعًا له، إقبالًا أو إدبارًا، وأكثر استعماله في الإقبال، كقوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: 144]، ولا

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والجوهريّ، الصّحاح، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (نصب).

(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن منظور، لسان العرب، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (حكم).

يدلّ على الإعراض والإدبار والبعد إلّا إذا عُدِّيَ بـ (عن)، أو دلّ السّياق على ذلك، يُقالُ: تَوَلَّى عنه، أي: أَعرَضَ. ووَلَّى هاربًا، أي: أدبَرَ، ومنه هذه الآية[1].

5) ﴿مُّعْرِضُونَ﴾: العَرْضُ من كلّ شيء خلاف الطُّول، وفي استعمال العرب: اتّساع ما يواجه النّاظرَ منَ الشّيء الكثيف، والعرب تستعمل الطّول والعرض في الكثرة، يُقال: أطال في الكلام، وأعرض في الدّعاء، أي: أكثر. ويُقالُ: أَعرَض فُلانٌ، أي: ذهَب عرضًا وطُولًا. والإعرَاضُ عنِ الشّيء: الإدبارُ عنه بالعَرض. وأعرض بوجهه، وعن فلان: كأنّه انحرف عنه، ووَلَّاه عُرْضه، أي: جانبه، أو عارِضَه، أي: جانبَ وجهه لا مقدَّمه، أو: وَلَّى مُبدِيًا عَرضَهُ، وأَعرَضَ عن الأَمرِ، وعنِ الآيات، تشبيهًا بالإعراض الحسّيّ، قال تعالى: ﴿وَهُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنبياء: 32][2].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

أرأيت - أيُّها الرّسول ﷺ- أعجبَ من حال هؤلاء اليهود - وهم علماؤهم - الّذين آتاهم اللّهُ نَصِيبًا عَظِيمًا منَ التوراةِ فَلَمْ يَنْتَفِعُوا بذلِكَ، وقد علموا أنَّ ما جئتَ به هو الحقُّ، يُدعَونَ إلى ما جاء في القرآن ليَفْصل بينهم فيما اختلفوا فيه، فإن لم يُوافق أهواءَهم يَأْبَ كثير منهم حُكمَ اللّه؛ لأنَّ من عادتهم الإعراضَ عنِ الحقِّ، أو يُدعَونَ إلى كتابهم الّذي يزعمون أنّهم مؤمنون به، لكنّهم يتولّون بعد أن يأخذوا حظّهم منَ الوقت والتّفكير، وهم معرضون عنه بقلوبهم؛ لأنّهم يعلمون أنَّ في كتابهم البشارةَ بنبوّته ﷺ، والحكمَ فيها قد خالف أهواءهم[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالة التّحوّل في الأسلوب منَ الخبر إلى الإنشاء:

صدر الآية استئناف ابتدائيّ للتّعجيب من حالة اليهود في شدّة ضلالهم[4]؛ وهو انتقال من أسلوب خبريّ عَدَّدَ خَزَايا اليهود من كفر، وإصرار على المعصية، وقتل للأنبياء وغير

(1) الجوهريّ، الصّحاح، وابن فارس، مقاييس اللّغة، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (ولي).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والجوهريّ، الصّحاح، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (عرض).
(3) الشوكاني، فتح القدير: 1/376، ونخبة من العلماء، التّفسير الميسّر، ص: 53.
(4) الزّركشّي، البرهان: 4/151، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 3/208.

تنـوّع أسلـوب القـرآن للتّنبيه عـلى أحـوال اليـهـود في عـنـادهـم، وإصرارهـم على الإعراض

ذلك؛ إلى أسلوب إنشائيّ مخاطبًا رسول الله ﷺ، مُستفهمًا عن عجائب الّذين أوتوا الكتاب.

الاستفهام في قوله ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ للتّقرير والتّعجيب:

إذا قُصِدَ بالاستفهام النّفي، وجاء معه أداة نفي عاد النّفي إثباتًا، وهذه قاعدة مطّردة، وهو هنا للتّقرير والتّعجيب، فالاستفهام لنفي الفعل، والمراد حصول الإقرار بالفعل، ليكون التّقرير على نفيه محرّضًا للمُخاطَب على الاعتراف به لأنّه لا يرضى أن يكون ممّن يجهله، ومثله قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا﴾ [الشّعراء: 18]، يعني: ربّيناك[1].

لمّا قال ﴿أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ دلّ على ظاهريّة الإيمان، وأنّ التزامهم لم يتجاوزِ الحروف والكلمات:

إنّ قوله: ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ من قبيل الذّكر في مَوضِع الحذف، فكان المَوضِع أن يُقال: (إليهم)، فأطنب في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾؛ ليدلّ على أنّ ضلالهم على علم، وفي ذلك تعريض بهم؛ لأنّ الّذي أوتوه منَ الكتاب هو قراءتُهم له بألسنتهم، وادّعاءُ الإيمان به، دون أن يكون له فيهم واعظ أو رادع.

الذّكر في موضع الحذف، وبلاغة التّعريض

تعدية فعل النّظر ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ بحرف ﴿إِلَى﴾:

الرؤية في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ بصريّة لتعديتها بـ﴿إِلَى﴾ الّذي يتعدّى به فعل النّظر، أو: قلبيّة، وتكون ﴿إِلَى﴾ داخلة على المفعول الأوّل؛ لتأكيد اتّصال العلم بالمعلوم، وانتهائه المجازيّ إليه، ويكون المعنى: ألم تعلم؟ ألم ينته علمك إلى هؤلاء؟ ومعناه: اعرفهم. وقيل: ﴿*أَلَمْ تَرَ﴾؛ بمعنى: ألم تُخبر؟ وهو سؤال فيه إعلام، أي: أعلن قصّتهم، وهي كلمة تقولها العرب عند التّعجّب منَ الشّيء، وعند تنبيه المُخاطَب، ومنها قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ﴾ [البقرة: 243]؛ أي:

في العبارة القرآنيّة إعلام بأحوال اليهود، وتعجيب من عنادهم، وصدّهم عن كتاب الله

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 3/208، والمطعنيّ، التّفسير البلاغيّ: 1/157.

أَلَم تَعجَب بفعلهم، أَلَم يَنتَهِ شأنُهم إليك؟ وقال الرّاغبُ: إذا عُدِّي رَأَيت بـ (إلى) اقتضى معنى النَّظَر المُؤَدِّي للاعتبار[1].

التّعجيب بطريق الموصوليّة:

وقال: ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾، ولم يقلِ اليهود؛ إذ عرَّفَ المُتَحَدَّث عنهم بطريق الموصوليّة بـ ﴿ٱلَّذِينَ﴾، واسم الموصول هنا كـ (أل) العهديّة التي تُعرّف المفردات دون ذكرهم؛ وذلك للتّعجيب، ولأنّ في الصّلة ما يزيد التّعجيب من حالهم؛ لأنّ كونهم على علم منَ الكتاب قليل أو كثير من شأنه أن يصدّهم عمّا أخبرَ به عنهم، وتلين قلوبهم، ويُحَكِّمون كتاب الله، ناهيك عمّا في هذه الصّلة أيضًا من توهين علمهم بالكتاب، والكتاب: التّوراة، فالتّعريف للعهد، وهو الظّاهر، وقيل: للجنس، فعجّب بحالهم من طريقين[2].

لم يحملوا أمانة العلم، والعمل، والتّبليغ، فأحالوا أنفسهم بذلك إلى بهائم لا تستوعب التّكريم الإلهيّ في إيتاء الكتاب

العدول عنِ الاسم المعهود إلى غير المعهود مع تنوّع الكناية عنِ الكتاب:

الجدير بالاهتمام هنا أنّ القرآن يُطلِقُ عليهم ﴿أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [نحو: آل عمران: 69] أو ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [نحو: البقرة: 101]، فعدل هنا إلى قوله: ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾، فزاد عليها ﴿نَصِيبًا مِّنَ﴾؛ وواضح أنّ التّعبيرين مختلفان في المعنى؛ فقوله: ﴿أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾؛ الألف واللّام فيه للعهد، أي: الكتاب المعهود، وهو التّوراة والإنجيل، أمّا ﴿أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ فمعناه منَ الوحي. فـ (أل) فيه لتعريف الجنس؛ لأنّهم أوتوا بعض كلام الله، وهو التّوراة والإنجيل، فحرّفوه، ولم يؤتوا كلام الله كلّه، بدليل ما اشتمل عليه القرآن من حقائق الإيمان، والأحكام، والتّوجيهات، والقصص ممّا ليس له وجود في كتاب سماويّ قبله.

تعدّد معاني الكتاب المرادة في الآية، فهو القرآن أو التّوراة أو جنس الكتب السّماويّة

أو تكون (أل) للعهد، أي: أوتوا نصيبًا منَ التّوراة؛ لأنّها المُحرّفة، والمعنى: يُدْعَون إلى التّوراة الصّحيحة أو القرآن أو جنس الكتب

(1) ابن سيده، المحكم: (رأى)، والرّاغب، المفردات: (رأى)، والزّمخشريّ، الكشّاف: 1/515، والزّبيديّ، تاج العروس: (رأى)، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 3/209، وفاضل السّامرائيّ، معاني النّحو: 2/13.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 3/209، وفاضل السّامرائيّ، معاني النّحو: 1/112.

السّماويّة؛ للحكم بينهم بما فيها، والرّضى بها، وفيه تعريض بأنّهم لا يعلمون من كتابهم إلّا حظًّا يسيرًا، ويجوز أن يكون الكتاب الثّاني عين الكتاب الأوّل، وإنما غُيِّرَ اللّفظ تفنّنًا وتنويهًا بالمدعوّ إليه[1].

سرُّ العدول عن (آتيناهم) إلى ﴿أُوتُواْ﴾:

بناء الفعل للمفعول في ﴿أُوتُواْ﴾ هنا يشير إلى عدم قبولهم ما آتاهم اللّه من الكتاب؛ إمّا بإيمانهم ببعض الكتاب وكفرهم ببعض، وإمَّا بتحريفهم له، وكلٌّ موضعٍ ذُكر في وصف الكتاب (آتينا) فهو أبلغ من كلِّ موضع ذُكر فيه ﴿أُوتُواْ﴾؛ لأنَّ ﴿أُوتُواْ﴾ قد يقال إذا أُوتي من لم يكن منه قَبول، و(آتيناهم) يقال فيمن كان منه قَبول.

وقد ورد قوله تعالى: ﴿ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ في ثمانية مواضع في القرآن الكريم، كلُّها تدل على قبولهم ما في الكتاب، كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٢١﴾ [البقرة: 121].

المجاز في ذكر النّصيب منَ الكتاب:

ذكر النّصيب منَ الكتاب؛ لمقدرتهم على قراءته، وفهمه دون تطبيقه، ونشره، وتعليمه

إيثار التّعبير بنصيب منَ الكتاب هو مُقتضَى الحال في بلاغة الإعجاز، أي: أنّ ما لديهم من وحي ليس كافيًا في هدايتهم، ومع ذلك رفضوه، ولو قيل: أوتوا الكتاب لأعذرهم بأنّهم ليسوا في حاجة إلى غيره[2]، أو أنّ ﴿أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ مجاز عمّا أخذوه من تلاوة الكتاب دون العمل به، فوصف حالة عدم الفهم وعدم التّوفيق، الّتي أحاطت بهم، وأحالتهم إلى كائنات لا قدرة لها على استيعاب ما في كتاب اللّه من أوامر، ونواهٍ، وأحكام، وفضائل، فهم قد أوتوا الكتاب لكنّهم لم يُؤتُوهُ حقّه، فكانت علاقتهم به كحمار يحمل الكتب والأسفار، فليس له منها إلّا جهد الحمل، ومشقّة الطّريق، فلم يُؤتُوهُ حقّه منَ العناية، والعبادة، والتّطبيق، والدّراسة لأحكامه، ونشره،

(1) ابن جرير، جامع البيان: 6/288، وابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 1/416، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 2/10، وأبو حيّان، البحر المحيط: 3/81، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 3/209 - 210.

(2) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ: 1/158.

وتعليمه، فكانوا كمن أوتي حروفه، ولم يؤتَ أحكامه وفضائله، فقال: ﴿أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾. وقوله: نصيبًا، أي: طرفًا، أي: ظاهر بعض الكتاب؛ إذ هم لم يحفظوه، ولم يعلموا جميع ما فيه[1].

دلالة التّنكير في قوله ﴿نَصِيبًا﴾:

تنكير النّصيب يحتمل التّعظيم والتّحقير، والسّياق يرجحّ أنّه للتّحقير والتّقليل والتّهوين من شأنهم وحالهم ممّا أخذوه منَ الكتاب[2]، وفي بناء ﴿أُوتُواْ﴾ لما لم يُسَمَّ فاعله دلالة على الإغلاق الّذي أصابهم بسبب عتوّهم وإعراضهم، قال الرّاغب: "وكلّ مَوضِع ذُكر في وصف الكتاب ﴿ءَاتَيْنَا﴾ [البقرة: 53] فهو أبلغ من كلّ مَوضِع ذُكر فيه ﴿أُوتُواْ﴾؛ لأنّ ﴿أُوتُواْ﴾ قد يُقال فيمن لم يكن منه قبولٌ، و﴿ءَاتَيْنَٰهُمُ﴾ [البقرة: 121] يُقال فيمن كان منهم قبولٌ"[3]، وكتابهم الخاصّ بهم نصيب من بقيّة الكتب، وما أخذوا من كتابهم نصيب منه، فإنّهم لو استوفوا حظّهم منه لما عدلوا في الحكم عنه، ولرضوا به، وكان في هذا التّعجيب أن يكون غيرهم يرضى بحكم كتابهم، ثمّ لا يرضون هم به[4].

الآية إنكار على علماء اليهود من أهل الكتاب، لمّا علموا منَ الحقّ فأخفوه، وأعرضوا

بلاغة الإظهار في مَوضِع الإضمار:

أظهر الاسم الأحسن ﴿ٱللَّهِ﴾ في قوله: ﴿كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾، ولم يقل: إلى كتابهم؛ احترازًا عمّا غيّروا وبدّلوا، ولأنّهم إنّما دعوا إلى كتاب الله الّذي أُنزل على موسى عليه السلام، لا إلى ما عساه أن يكون بأيديهم ممّا غيّروا، وفيه أيضًا إشارة إلى عظيم جرأتهم بتولّيهم عمّن له الإحاطة الكاملة[5].

للتّعجيب من حال أولئك الّذين يُدعون إلى كتاب الله، ثم يتولّون

قوله: ﴿بَيْنَهُمْ﴾ يحتمل أن يكونَ المتنازع فيه واقعًا بينهم هم، أي:

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/81.
(2) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 2/10، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 3/209.
(3) الرّاغب، المفردات: (أتى).
(4) الحراليّ، تراث أبي الحسن الْحَرَالِيّ: 1/542.
(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 2/49.

بلاغة ذكر البينيّة في الحكم

بين من أسلم منهم، ومن لم يسلم، أو: بينهم وبين رسول الله ﷺ، فدعوا إلى التّوراة الّتي لا اختلاف في صحّتها عندهم، ليُحكم بين المحقّ والمبطل، فتولّى من لم يسلم منهم[1].

دلالة الأفعال المضارعة ﴿يُدْعَوْنَ﴾، ﴿لِيَحْكُمَ﴾، ﴿يَتَوَلَّىٰ﴾:

الأفعال المضارعة هي ﴿يُدْعَوْنَ﴾، ﴿لِيَحْكُمَ﴾، ﴿يَتَوَلَّىٰ﴾، وبناء ﴿يُدْعَوْنَ﴾ لما لم يُسَمَّ فاعله يدلّ على التّعميم، فمهما دُعوا إلى كتاب الله من أيّ داعٍ ليحكم بينهم فإنّهم يتولّون، والحكم واقع بينهم أنفسهم، وليس بينهم وبين المسلمين، ومع ذلك فهم مُعرضون عن كتابهم وعنِ الحُكم به، والمُضارع في قوله: ﴿لِيَحْكُمَ﴾ دليل جاهزيَّة الحُكم في الكتاب ووضوحه، ثمّ دليل تجدّد تلك الجاهزِيَّة في المستقبل، فهو كتاب الله، وارتباط هذا المعنى مع حرف التّراخي ﴿ثُمَّ﴾ في قوله: ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾؛ لبيان رسوخ علمهم بكتاب الله، إذ أخذوا الزّمن الكافي لمعرفته، وفهمه، والتّدقيق فيه، لكنّهم بعد ذلك أعرضوا عنه.

من إعجاز القرآن حكايته أسرار النّفس الإنسانيّة، وتجدّدها معَ الزمن

وفي قوله: ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ استبعاد لتولّيهم مع علمهم بأنّ الرّجوع إليه واجب، والتّولّي مجاز عنِ النّفور والإباء، وأصله الإعراض والانصراف الحسّيّ، ونسب التّولّي إلى فريق منهم دون الجميع؛ لأنّ منهم من أسلم ولم يتولَّ[2]، وفعل المضارع ﴿يَتَوَلَّىٰ﴾ أفاد أيضًا ذلك التّجدّد كحال تولّيهم، فمع أنّ الحكم بالكتاب متجدّد الجهوزيّة في ﴿لِيَحْكُمَ﴾، فإنّ حالة التّولّي لديهم على تجدّد مستمرّ في ﴿يَتَوَلَّىٰ﴾.

وجملة ﴿وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ حال دالّة على تجدّد إعراضهم، المستفاد

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/81، 82.

(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 1/416، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 2/10، وأبو حيّان، البحر المحيط: 3/81، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 3/210.

منَ المضارع ﴿يَتَوَلَّىٰ﴾؛ كأنّهم وَلّوا كتاب الله عُرضهم وعارِضَهم، أي: جانبهم وجانبَ وجوههم، لا مقدّمهم[1]، وفي ذلك انسجام حالة التّجدّد بين الحال والأفعال المضارعة.

دلالة التّراخي في ﴿ثُمَّ﴾:

الله تعالى يمنح الإنسان وقته الكافي؛ للتّفكير والنّظر فيما يختاره بعد أن يتيح له فرص التّعلّم، والتّعرّف على الحقّ والباطل.

حِلْمُ الله مع غَنَائِه، وعناد البشر مع شدة فقرهم

يدلّ التّراخي في ﴿ثُمَّ﴾ على أنّ هؤلاء أخذوا وقتهم في النّظر والتّفكّر في الأمر، فلمّا رأوا نتائج الحُكم لا توافق أهواءهم وعداوتهم رسول الله ﷺ وإنكار رسالته؛ أعرضوا عنه؛ لأنّه كان موجودًا عندهم في التّوراة ذكر صفاته ﷺ تمامًا كما يرونها أمامهم فيه ﷺ، وفي إمهاله ما يدلّ على لددهم وتبلّدهم في ذلك بما يوقعه الله منَ المقت والتّحيّر على من دعي إلى حقّ فأباه. وفي صيغة يتفعّل ﴿يَتَوَلَّىٰ﴾ ما يناسب معنى ذلك في تكلّف التّولّي على انجذاب من بواطنهم لما عرفوه وكتموه.

و﴿ثُمَّ﴾ تدلّ على أنّ تولّيهم مستمرّ في أزمان كثيرة تبعد عن زمان الدّعوة، أي: أنّهم لا يرعوُون، بل يتولّون ثمّ يتولّون؛ لأنّ المرء قد يُعرِضُ غضبًا، أو لعظم مفاجأة بأمر غير المترقّب، ثمّ يثوب إليه رشده، ويراجع نفسه، فيرجع، وقد علم أنّ تولّيهم إثر الدّعوة دون تراخٍ حاصل بفحوى الخطاب، فدلّت ﴿ثُمَّ﴾ على التّراخي الزّمنيّ، فمهما طال بهم الزّمن، وتجدّدت أحوال حاجتهم إلى أحكام كتاب الله تولّوا عنه، وهم معرضون، ودلّت أيضًا على التّراخي الرّتبيّ الّذي أريد به تشنيع حالهم وتفظيعها بعد التّعجيب منها؛ إذْ كيف يتولّون إذا دعوا إلى كتابهم بعد أن أوتوا الكتاب، ونقلوه[2].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 3/210.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 2/49، 50، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 3/210.

سرُّ الجمع بين التَّولّي والإعراض وهما قريبان في المعنى:

التّوكيد بتَكرار المعنى، والدّلالة عن جهة تولّيهم وهـو تَعمُّد الإعراض

ذكر التّولّي والإعراض مع أنّهما قريبان في المعنى؛ لبيان طبائع الأنفس وخبيئاتها.

فالإعراض مؤكّدٌ للتّولّي، فهو حال من أحواله، يصف ذلك التّردّد والتّكلّف الّذي صار وصفًا لهم، فأصبح الإعراض عادتهم، وفي هذا تحذير لهذه الأمّة منَ الوقوع في مثل ذلك، أو مبينٌ لمعنى جديد، فالتّولّي عنِ الدّاعي، والإعراض عنِ المدعوّ إليه، أو التّولّي بالبدن والإعراض بالقلب، أو التّولّي من علمائهم والإعراض من أتباعهم[1].

الإشـــارة إلى وجـود الدّليل على صحّة نبوّة رسول الله ﷺ عندهم

في الآية دليل على صحّة نبوّته ﷺ؛ لأنّهم لولا علمهم بما جاء في كتبهم من نعته وصحّة نبوّته لمَا أعرضوا، وتسارعوا إلى موافقة ما في كتبهم، حتّى يثبتوا بطلان دعواه[2].

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 2/10، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 2/49 - 50.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 3/82.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع، سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 4 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-55-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 4 : سورة البقرة من الآية 248 إلى سورة آل عمران الآية 38.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-55-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5828584 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»